(١٤) من أخلاقي

خُلُق الصِّدق

قصتنا اليوم يا أعزَّائي قصة عجيبة

وهي ذات فوائد عظيمة

تدور أحداث هذه القصة حول ثلاثة رجال، من بني إسرائيل قوم نبي الله موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وكان الأول منهم أبرص تغير لون جلده، والثاني أقرع ليس في رأسه شعر، والثالث أعمى لا يرى بعينيه.

حالهم حال عجيبة، سبحان الله!

أراد الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أن يختبر إيمان هؤلاء الثلاثة، فبعث إليهم ملكًا في صورة رجل، ونعرف أنَّ الملائكة أعطاهم الله هذه الميزة، فيتشكَّلون في أشكال حسنة جميلة، جاء الملك أول مرَّة إلى الأبرص فقال له: أي شيء أحب إليك؟ قال: أحب شيء إليَّ هو لون حسن وجلد حسن، ويذهب عني

البرص، فمسح الملك على جلده فبرأ بفضل الله، وأُعطيَ لونًا حسنًا، ثم قال له الملك: فأيُّ المال أحب إليك؟ قال: الإبل، فأعطاه الملَك ناقة عشراء، ثم قال له: بارك الله لك فيها.

وتركه وذهب إلى الأقرع، فقال: أَيُّ شيءٍ أحبُّ إليك؟ قال: شعر حسن، ويذهب عني هذا الصلع، فمسح الملك على رأسه فذهب عنه الصلع، وأُعطيَ شعرًا حسنًا، ثم قال له الملك: فأي المال أحب إليك؟ قال: البقر، فأُعطي بقرة حاملًا، وقال: بارك الله لك فيها. ثم تركه وذهب إلى الأعمى فقال له: أيُّ شيء أحبُّ إليك؟ قال: أن يرد الله إليَّ بصري فأبصر الناس، فمسح الملك عينه فرد الله إليه بصره، ثم قال له الملك: فأيُّ المالِ أحبُّ إليك؟ قال: الغنم، فأعطي شاة والدًا.

وقد استجاب الله تعالى دعوة الملك فبارك لهم في أنعامهم فولدت كثرة، وبعد فترة أصبح للأبرص عدد كبير من الإبل، وللأقرع عدد كبير من البقر، وللأعمى عدد كبير من الغنم.

ثم جاء الملك مرَّة ثانية وطاف عليهم يختبرهم، فأتى الرجل الذي كان أبرص وعافاه الله في صورة رجل أبرص،

وقال له: أنا رجل مسكين قد انقطعت بي الأسباب في سفري، فلا بلاغ لي اليوم إلا بالله ثم بك، أسالك بالذي أعطاك اللون الحسن والجلد الحسن والمال أن تعطيني جملًا أركبه في سفري، فقال الرجل الذي كان أبرص وعافاه الله: الحقوق كثيرة، ولم يعطه، فقال له الملك: كأني أعرفك، ألم تكن أبرص يقذرك الناس؟ فقيرًا فأعطاك الله؟ وهنا كذب الأبرص وقال: إنما ورثت هذا المال كابرًا عن كابر ورثه جدي لأبي، وورثته عن أبي، فلما سمعه الملك يكذب قال له: إن كنت كاذبًا فصَّيرك الله إلى ما كنت، أبرص، فقيرًا.

وذهب عنه فأتى الأقرع في صورته وهيئته التي كان عليها الأقرع قبل الشفاء والغنى، فقال له مثل ما قال للأبرص، فرد عليه بمثل ما رد الأبرص، لقد كذب هو الآخر!

فقال له الملك: إن كنت كاذبًا فصيرك الله إلى ما كنت عليه.

ثم أتى الأعمى في صورته وهيئته، فقال له: أنا رجل مسكين انقطعت بي السبل في سفري، فلا بلاغ لي اليوم إلا بالله ثم

بك، أسألك بالذي ردَّ عليك بصرك أن تعطيني شاة، أتبلغ بها في سفري، فقال الرجل: قد كنت أعمى فرد الله إليَّ بصري، فخذ ما شئت ودع ما شئت، فوالله لا أشق عليك برد شيء تأخذه أو تطلبه من مالي لله عَزَّوَجَلَّ، فلما رأى الملك أنه صدق في حديثه، وأنه مستعد للعطاء في سبيل الله، قال له: احتفظ بمالك، فإنما ابتلاكم الله تعالى أنت وصاحبيك الأبرص والأقرع، فأما أنت فقد رضي الله عنك بصدقك وكرمك وبَذْلِكَ للمسكين، وأما صاحباك فسخط الله عليهما للكذب والبخل ومنع حق المسكين[1].

وهكذا يا أحبابي الكرام تعلمنا من هذه القصة العظيمة أننا يجب أن نراقب الله عَزَّوَجَلَّ في أنفسنا، وما أعطانا وأولانا من العافية، وأن لا نجحد شيئًا من نعمة الله عَزَّوَجَلَّ علينا.

(١) متفق عليه؛ رواه البخاري (٣٢٧٧)، ومسلم (٢٩٦٤).